دراسة تاريخية مقارنة في الطب النفسي والبديل عند العرب

الهادي الشتيوي المقطوف ـ كلية التربية الزاوية ـ جامعة الزاوية

المقدمة :

لقد أسهم الإسلام بنظامه الكامل والمتكامل والمنظم لجميع شؤون الحياة النفسية في تقويم نظرة الناس إلى النفس البشرية.

وأشار إلى شيء من أسرارها وخباياها، وقد احتوى القران الكريم على وصف موجز لطبائع النفوس ووسائل علاجها وكشف للإنسان عن بعض أسرار نفسه وأسرار الكون من حوله ولقد جاء الإسلام فقام بأحياء التراث العلمي والفلسفي اليوناني والبيزنطي والفارسي وغيره .

واستطاع بفضل قيمه الأخلاقية والروحية السامية أن يحوّل قوما من البدو العرب الحفاة العراة القساة الرحل الذين كانوا يعبدون الأصنام والأخشاب إلى قوم يدعون إلى طهارة النفس وسلام الحياة، ولقد كان للقران الكريم وقع كبير في نفوسهم فأصبح يشكل حافزا لانبعاث حركة حضارية عملت على إحداث تغييرا جذريا في كل ميادين الحياة الاجتماعية؛ لأن آياته تنص صراحة على الإحسان للمرضى وطرق معاملتهم وكيفية التصرف الحكيم معهم.

تعريف المرض النفسي المرض النفسي :

هو نوع من الأمراض التي تصيب الإنسان وتجعل منه إنسانا غير سوي في مجتمعه

معنى وتعريف المرض النفسي :

تعريف الجنون :

لغة : الجنون لغة اشتق من الفعل الثلاثي " جنن "، وله عدة معانٍ أهمها: الستر، يقال جن الشيء يجنه جناً أي: ستره، وكل شيء ستر عنك فقد جن عنك، وسمي " الجن " بهذا الاسم لاستتارهم ... ويقال: جن الليل... عندما يشار إلى شدة ظلمته التي تستر ما فيه عن الأبصار... ويطلق على الولد في بطن أمه جنين لأنه مستور[1]، ويطلق الجنون أيضا على كل أمر يدل على الكثرة التي تثير العجب. يقال: جنون الطير، للإشارة إلى كثرة ترنمه في طيرانه، وجن الذباب إذا كثر صوته[2]،المعنى الأول يشير إلى أن الجنون هو ستر للعقل أي: غياب كلى أو جزئي للوظائف ومقدرات العقل ، بينما المعنى الثاني يشير إلى أنه يلزم من الجنون أشكالا من السلوك "غير الطبيعي" التي تثير العجب نتيجة لاختلال التحكم في الإرادة (وهو من لوازم الجنون).

اصطلاحا:

أما اصطلاحا فقد تعددت تعريفات الجنون.

المفهوم الدارج والعامي للجنون : هو كل نمط تفكير أو سلوك يتعارض مع أنماط التفكير أو السلوك السائدة في مجتمع معين، في زمان ومكان معينين، وهو مفهوم ذاتي – نسبى، لا يستند إلى أي معيار موضوعي .

المفهوم العلمي للجنون : أما التعريف العلمي للجنون الذي نأخذ به فهو: اضطراب في بنية أو وظائف الدماغ ، يؤدي إلى اختلال (كلى أو جزئي/ دائم أو مؤقت) في الوظائف والمقدرات العقلية (كالإدراك والتذكر والتخيل) نتيجة لعوامل فسيولوجية أو وراثية... ويلزم منه – معرفيا-اختلال في المقدرة على التمييز، -وسلوكيا – اختلال التحكم في الإرادة. وقد حدد الطب النفسي الاضطرابات العقلية التي تندرج تحت هذا المفهوم العلمي وتشمل: الذهان، الصرع، والهستيريا، والوسواس الجنوني، ازدواج الشخصية أو انفصام الشخصية (الشيزوفرينيا)...

غير أن القران الكريم بيّن المفهومين وقد ميز القران الكريم بين المفهومين العامي والعلمي للجنون، حيث أشار إلى المفهوم الأول للجنون ، في معرض إشارته إلى اتهام أعداء الرسل لهم بالجنون كقوله تعالى(كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ) ، (وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ) [3]

كما أشار إلى المفهوم الثاني في معرض نفيه الجنون عن الرسل (عليهم السلام)عامة و الرسول - صلى الله عليه وسلم- خاصة، كما في قوله تعالى(إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ* ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ* مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ* وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ) [4].

واختلف العلماء في تعريف الصحة النفسية والمرض النفسي، ولقد اشترك الموروث الشعبي في بلاد العرب الإسلامي وبلاد أوروبا المسحية في أن الأمراض العقلية مثل الصرع والجنون بأنه مس شيطانى أو بسبب ارتكاب خطيئة أو أن صاحبها صاحب روح ضالة [5].

والمرض النفسي هو كراهية النفس والآخرين والعجز عن الانجاز والركود رغبة في الوصول إلى الموت.

ومن العلماء من اعتبر أن المرض النفسي هو عدم التوافق الداخلي، ورأى أن الصحة النفسية هي التوافق الداخلي بين مكونات النفس من جزء فطري هو الغرائز (الهو) وجزء مكتسب من البيئة الخارجية وهو الأنا الأعلى...وهذا التعريف له أصول إسلامية...

فالنفس الأمارة بالسوء = تقابل الغرائز.
والنفس اللوامة = تقابل الأنا الأعلى.
وحين يتحقق التوازن والتوافق بين النفس الأمارة بالسوء والنفس اللوامة تتحقق الطمأنينة للإنسان ويوصف بأن نفسه مطمئنة. وكان مرض الجنون يطلق عليه في عامية العرب المغاربة لفظ أمسطوط ـ أو أمسوط ومنها سطي وتعنى مختل العقل في اللسان الدارج [6] , وثم تصنيف السفه بالخلل العقلي والنفسي، فضرر السفيه أنه يقوم بأعمال تضره وتضر المحيطين به كأن يبيع شيئا من ممتلكاته دون قيمتها الحقيقية فيضطر الأهل إلى التحجير عليه بموافقة الفقهاء، وقد انتشرت مثل هذه العقود التي تسفه أحدهم بعد ثبوت

مراحل تطور مفهوم المرض النفسي في الحضارات القديمة:

أولا ـ الطب النفسي عند الفراعنة في بلاد وادي النيل:

لقد أثبتت الترجمات الحديثة لأوراق البردي الفرعونية، أن قدماء المصريين كانوا على معرفة بأعراض بعض الأمراض النفسية وكان لهم التفسير الخاص بهم لتلك الأعراض حسب ثقافتهم ومرجعيتهم الدينية وقت ذاك. ولكن لم تشر ألقاب الأطباء في العصر الفرعوني إلى وجود تخصصات في الأمراض العقلية.

ففي ترجمة لبعض تلك البرديات (بردية كاهون 1900 ق م _ بردية ابر 1600 ق م _ بردية ادوين سميث 1600 ق م _ بردية برلين الطبية 1250 ق. م) وصف المصريون أعراض ما يسمى الآن بأمراض الشيخوخة والاكتئاب وكذلك وجد وصف للاضطرابات الهستيرية أو النفس الجسدية وذلك على صورة روايات. فقد دوّن قدماء المصريون ملاحظات عن تغيرات مرحلة الشيخوخة تضمنت الاكتئاب وضعف الذاكرة. وبذكر أعراض الاكتئاب فهذا نص البردية والتي تروى قصة زوجة لاحظت التغير على زوجها وإجابة الزوج عنها والتي تصف ما نسميه الان" اضطراب الاكتئاب" بدقة. ففي بردية (غليونجى) " لقد رفع ملابسه ورقد ،لا يدرى أين هو .. أما زوجته فقد مدت يدها تحت ثيابه و قالت "يا أخي لا أشعر بالحمى في صدرك أو أطرافك ولكنة الحزن في قلبك " وهذا رد الزوج عليها "الان... الموت بالنسبة لي كالصحة للمريض، كرائحة زهرة اللوتس كرغبة الرجل في أن يرى دارة بعد سنوات من الأسر "كان الاعتقاد السائد عند المصريين القدماء أن القوى الخفية الموجودة في الطبيعة لها تأثير مباشر في سلوك الإنسان , لذلك اهتموا بتفسير الأحلام وبرعوا فيها، ولنا في قصة سيدنا يوسف وملك مصر والسنوات السبع العجاف دليل على اهتمام المعبرين والمفسرين بتفسير الأحلام , وكانوا يرون أن الأحلام لها دور في تغيير وتبديل

سلوك الفرد, واعتمدوا بعلاج المرضى داخل المعابد وكان الناس يطلقون عليه المعالج المقدس[7]

ثانيا ـ الطب النفسي عند الإغريق:

يعد الطبيب الإغريقي (أبقراط) أول من أشار وتحدث عن المرض النفسي حيث ذكر أن القوى الخفية في الكون هي سبب الأمراض النفسية ، وأن النفس مكانه المخ، وأنها هي التي تكيف الانفعالات والأفكار، ولكنهم برعوا في وصف الأعراض النفسية وعرفوا مرض الصرع وسموه المرض المقدس ؛ لأن الملك (شؤول) كان يعاني من مرض الصرع. (وكأن الشعوب على دين ملوكهم حتى في الأمراض) ولقد أخذ الإغريق بعد ذلك عن قدماء المصريين طرق العلاج وأضافوا إليها ما يعكس ثقافتهم ومعرفتهم فلقد كانوا أول من نصح بعدم ظهور المصابين بالأمراض العقلية في طرقات المدينة بل ويقوم أقاربهم بملاحظتهم بالمنازل بحيث يتعرضون لدفع غرامة إذا ما أهملوا في أداء هذا الواجب. وفى عهد ابقراط جرت العادة على أن يتردد المصابون بالمرض العقلي على معبد معين حيث كانت تقدم القرابين وتقام الصلوات والطقوس لطرد الأرواح الشريرة بغية العلاج والشفاء. كما أنه ساد اعتقاد لدى ديمقريطس بأن أحد النباتات المعروفة بمفعولها الإسهالي الشديد مفيدة لهؤلاء المرضى. وفي مستهل العصر المسيحي دعا العلماء الإغريق إلى استخدام طريقتين متباينتين لعلاج مرض العقل. ففي حين كان البعض يعالج الاكتئاب بالتجويع والتقييد بالأغلال والجلد بالسياط على زعم أن ذلك يجبر المريض على العودة لتناول الطعام وانعاش الذاكرة وفى نفس الوقت كانوا يعترضون على استخدام الفصد ومكمدات الأفيون والبنج [8]. وقد قسم الإغريق سلوك الفرد إلى أنماط تبعا لتغلب ووفرة نوع الخلط في جسم الإنسان إلى أنماط تبعا لتغلب ووفرة نوع السائل في جسم كل إنسان، فيقولون هذا بلغمي (أي رصي الخلق)، وذاك الإنسان دموي (أي: سريع الانفعال والغضب)، أو سوداوي (أي: الساكت الساهي المدبر) أو صفراوي (أي: الضاغن الحاقد). والغريب العجيب في الأمر أنه مازال بعض الناس يستخدمون بعض هذه المصطلحات في وقتنا الحالي في معظم بلادنا العربية.

ثالثا ـ الطب النفسي عند الرومان:

كان الطب النفسي عند الرومان متأثرا بالطب النفسي عند الإغريق وبأنماط وطرق العلاج عندهم , ولكنهم عملوا على الاهتمام بطرق علاج الأمراض النفسية وقسموا الأعراض والأمراض إلى أعراض وأمراض قابلة للشفاء، وأعراض غير قابلة للشفاء تبعا للحالة المرضية التي قاموا بتشخيصها ودراستها وتأكدوا منها , غير أنهم كان لهم

قصب السبق في كونهم سنوا عدة قوانين كان لها أثارها الواضحة والجليلة في حماية المرضى النفسانيين وحفظ حقوقهم المشروعة في حسن المعاملة وتلقي العلاج، وبهذا يكون الرومان قد سبقوا الأمم وباقي الحضارات في هذا الحقل[9].

لقد تطور المفهوم العام للمرض النفسي عبر الأحداث الزمنية والتاريخية المختلفة وعليه يمكننا القول إن مفهوم المرض النفسي قد مر بتلات مراحل أساسية مهمة عبر التاريخ أهمها:

1- العصور القديمة من التاريخ والتي كان جل اعتمادها - بشكل إساسي - على الخبرة الشخصية وكان ذلك في الحضارات القديمة كحضارة وادي النيل والحضارة الآشورية والبابلية والصينية وكذلك الحضارة الهندية القديمة، وكانت تهتم بمسائل عامة الميتافيزيقا فيما وراء الطبيعة ومسألة الوجود وكذلك الروح والأخلاق والسياسة.

2- العصور اليونانية والإغريقية وقد اعتمدت هذه المرحلة على المهارة الاكلينيكية أو السريرية والخبرة التجريبية التي بدأت على يد ابقراط وجالينوس ثم ترجمها العرب المسلمون فهذبوها واستخلصوا منها كل ما هو مفيد ثم قاموا بتطويرها وتجديدها على يد مجموعة من العلماء الأفذاذ أمثال أبي بكر الرازي وابن سينا.

3- العصر الحديث والمعاصر وتم فيه تحديد مفهوم المرض النفسي وإرجاعه إلى المنهج العلمي والبيولوجي بشكل أساسي.

الطب النفسي في أوروبا في العصور الوسطى:

لو ألقينا نظرة على الطب والتداوي في العصور الوسطى ورأينا أن الطب ومختلف العلوم كانت متخلفة، ووقفت الجهود الطبية الأوربية عند جالينوس ولم تتجاوزه لمدة طويلة من الزمن.

إن الصورة الأساسية لطب الأوربيين كان يعتمد على الرقى السحرية، والدجالين، وانتشار الأدوية الغريبة والوصفات السحرية، متل وضع حجر في اليد لمنع الحمل، وأكل روت الحمير لتقوية القدرة على الإخصاب .. وحيث لجأ الناس إلى الرهبان والقساوسة طلبا للشفاء، حتى سرى حب الكسب فيهم على العلاج في الأديرة، مما حدا بالكنيسة إلى تحريم ممارسة الأعمال الطبية على رجال الدين (8)، لذلك تدهورت الصحة العامة بشكل كبير من كثرة الأطباء[10]. فمنذ عهد الرومان وحتى العصور الوسطى انتشرت عادة المضمضة بالبول، حيث كانت نبيلات الرومان يفضلن البول الآتي من أسبانيا، فإن لم يتيسر استعضن عنه ببول الثيران، وقد كان ذلك شائعاً حتى القرن السادس عشر بل إن بعض الأطباء في أوربا كانوا يوصون بمضغ قلب حية أو

ثعبان أو فأرة مرة كل شهر من أجل نقاء أسنانهم[11]وقد لاحظ العرب المسلمون الذين كانوا يزورون المدن المسيحية مدى اتساخها وتعفنها، الأمر الذى جعلهم يشتكون دائما من (قدارة مدن الكفار) ورائحتها الكريهة، وكثرة الأمراض بها، غير أن الصورة الأكثر قتامة كانت تتعلق بالعلاج النفسي، فلم ينشأ هناك مستشفى واحد في أوروبا إلى أن جاء راهب يدعى جان جوفر jan jofer سنة 1409 م ، وكان عطوفا على المجانين الذين كانت الغوغاء تتابعهم في الشوارع بصفير الاستهزاء ، فأنشأ أول مستشفى للمجانين.. غير أن أحوال المجانين كانت مزرية وتقوم على عزل المجانين إلى جانب المتسولين والعاطلين والمحكوم عليهم بالسجن، وقد أورد الطبيب الفرنسي اسكيرول (esquirol) وصفا يقول فيه : " رأيت هؤلاء المخبولين عراة تغطيهم أسمال بالية، وينامون على القش الرطب، وكانوا محرومين حتى من استنشاق الهواء النقي ، ومحرومين من أبسط ضروريات الحياة، كما كانوا يستسلمون لحراس غلاظ القلوب، وقد نظر هؤلاء الأطباء إلى المرض النفسي بأنه " ارتداد اختياري للطبيعة الحيوانية الشريرة ولا خلاص منه إلا بالموت، ولذلك احتوت سجلات بيوت العزل على عبارات منها:" إن صحته تتدهور تدريجيا ، ونتعشم أن يموت قريبا" [12]وكان العزل يمارس بشكل مستقل عن الطب، وكان علاج هذه الأمراض السارية يعتمد على استخدام الزئبق كعنصر أساسي لعلاج الأمراض النفسية ، وكان ذلك العلاج يعمل على إنهاك المرضى بشكل عام ويؤدي - في غالب الأحيان - إلى الجنون . بل إن قتل المرضى النفسانيين كان شائعا عندهم؛ لأنهم كما يعتقدون لا يمكن علاجهم فقد تلبستهم الشياطين لذلك كان علاجهم الفعال يتم عن طريق تقيدهم بالسلاسل يبقون فيها كالحيوانات حتى تأتى ساعة مماتهم لاعتقادهم بأن أرواحا شريرة قد تلبست أرواح المرضى، وكان من ضمن لوائح العلاج عندهم أيضا التجويع والتعطيش والضرب بالسياط وهي وسيلة علاجية مارسوها على مرضاهم؛ لاعتقاد الشائع والمعروف في ذلك الوقت عندهم وهو أن الأكل يهيج المريض وأن الضرب يهدئه، حتى إن بعض الحرس كانوا يضربون وجوه المرضى بأيديهم بدون أن يستخدموا السياط، يقول جورج مور[13]– لقد كان موقف العرب أكثر إنسانية نحو المرضى العقليين، مما أحدث شيئا من التأثير على نظرة أوروبا الغربية تجاه المرضى العقليين فيما بعد، وهذا كله من فعل وأخلاق الأطباء العرب الذين تأثروا بهم.

أما عن القرون الوسطى فقد ترك علاج المرضى العقليين في أوروبا في أيدي رجال الدين، فشاعت المعتقـدات الخرافية عن فاعلية السحر والأرواح الشريرة وغيرهما. وقد كان المرضى يتعرضون للحرق بغرض حرق الأرواح الشريرة التي تسير بأجساد

البشر. ثم انشأت أماكن لحجز المصابين لم تكن في غالبيتها تستوفي الشروط الصحية لمعيشة الإنسان، فقد كان المرضى يتعرضون للمعالجة السيئة وأخفها التقييد بالأغلال المثبتة بالحوائط لفترات قد تصل إلى عشرات السنين، وكانت هذه الأماكن بعيدة عن المستشفيات المعتادة. مما أدى إلى فصل المرض العقلي عن جميع فروع الطب وساعد على الركود في الأبحاث الخاصة به وعلى افتقار التقدم في هذا الفرع من الطب.

الطب النفسي عند العرب المسلمين:

ولو قفلنا راجعين إلى الشرق حيت بلاد العرب والإسلام لرأينا مدى مساهمتهم في هدا المجال فإننا نندهش ومنذ الوهلة الأولى في معرفتهم له، بل فقد فهموا طبيعة الأمراض المختلفة لا سيما المرض النفسي، فنظروا إليه نظرة شديدة الواقعية، فتخلص الطب العربي الإسلامي من الخرافات ، ولم ترد المباحث الغيبية في أي مرجع طبى عربي الذى كان القدماء يرون أنه من تأثير الجن ، يقول أحد الأطباء العرب عن ذلك : "رأى بعض الأطباء أن مرض المالنخوليا قد يقع عن الجن ، ونحن لا نبالى من حيث نتعلم الطب أن ذلك يقع من الجن أو لا يقع .. فهو يقع بأن يميل المزاج إلى السوداء ، فيكون هو السوداء ، ثم ليكن سبب تلك السوداء جنا أو جن [14]هكذا كانت نظرة الأطباء العرب في تشخيص الأمراض لذلك فقد تطور الطب في بلاد الأندلس تطورا سريعا خصوصا الطب النفسي وكيفية وطرق علاجه، ويذكر ابن عبدون في كيفية علاج كل من تصلب من المعتوهين أو المجانين " فإنه وجب تقافه – أي "منعه"- ، ولا يهمل أمره [15]" ، بأن يتم إدخاله المستشفى حتى يعالج من ذلك المرض ، ولقد صعق ميشيل فوكوه وتملكه الذهول من هول تلك النهضة الكبيرة في مجال العلاج النفسي في ديار المسلمين بالأندلس ، مقابل ذلك التدهور الشديد الذى كانت عليه أوروبا في هذا المجال .. فنراه يصف بأعجاب أخاد و منقطع النظير كيف قامت تلك المستشفيات المتخصصة في علاج المجانين في مدينة أشبيلية وقرطبة وطليطلة وسرقسطة ..، فقد أورد فوكوه وصف بينيل " pinel " هو طبيب فرنسي الذى يقول عن مستشفيي سرقسطة والمجانين النازلين فيه ـ و بعد مرور أربعة قرون من أنشائه ـ ما نصه " كانت أبوابه مفتوحة على مصرعيها للمرضى من جميع البلاد وجميع الحكومات وجميع الملل ، كما يتبين من العبارة المنقوشة على المدخل[16] : "" Urbis et orbis" لسكان المدينة والعالم " ،وبذكر جورج مور أنه كانت هناك عيادة خارجية ومدرسة طبية ملحقة بكل مستشفى ويضيف قائلا إن الامكانات العلاجية كانت متاحة للمرضى الأغنياء والفقراء والذى يبدو أن معظمهم كان يعاني من ذهان الهوس والاكتئاب [17]ويقول أيضا من المؤكد أن

العرب قد احدثوا تأثيرا كبيرا في تشكيل نظرة وموقف الأسبان تجاه المرضى النفسانيين والذى يبدو جليا من خلال التشابه الكبير بين أوائل المستشفيات العقلية التي بنيت في أوروبا وبعض المستشفيات العربية التي كانت مخصصة للمرضى النفسيين متل المستشفى الذى تم بناؤه في غرناطة عام 1365م . لقد وصف الرحالة العائدون إلى أوربا من بلاد العرب في القرن التانئ عشر الميلادي ذلك العلاج المستنير الذى يتلقاه المرضى النفسانيون في تلك المراكز العلاجية. كما وصف المؤرخ ايفيلجا بالتفصيل جو الاسترخاء في تلك المراكز العلاجية المحاطة بالنوافير الساحرة والحدائق الغناء ، ووصف الطرق العلاجية التي تشمل وجبات خاصة وحمامات وأدوية وعطور ثم يضيف أيضا (وكانت هناك عيادة خارجية ومدرسة طبية ملحقة بكل مستشفى . . . وقد كانت الإمكانات العلاجية متاحة للمرضى الأغنياء والفقراء على حد السواء، والذي يبدو أن معظمهم كان يعاني من ذهان الهوس والاكتئاب) [18]

إن العلاج النفسي في المستشفى لا يقل عن العلاج البدني لذا اهتمت المستشفيات التي قامت على الأوقاف في الحضارة الإسلامية برعاية ذوي النفوس المريضة عن طريق تلاوة القرآن الكريم والتسلية البريئة. لقد أدرك علماء المسلمين خطورة الأمراض النفسية ووضعوا لها علاجاً وطباً، ولعل من أهمّ الرعاية التي لقيها المرضى والمعتوهون أنه خضع لكل واحد منهم مُرافق يأخذه باللين والرفق، يصحبه في الحدائق بين الخضرة والزهور ويسمعه ترتيلاً هادئاً من كتاب الله تعالى تطمئن به القلوب وتهدأ النفوس[19].

ومما ذكر أيضا في أساليب العلاج النفسي: أن يقف اثنان بمسمع من المريض وبدون أن يلحظ أن ذلك جار منهما عمداً، يسأل أحدهما الآخر عن حقيقة علّة ذلك المريض، فيجيبه رفيقه بأنه لا يوجد في علّته ما يشغل البال وأن الطبيب رتّب له كذا وكذا من الدواء ولا يظن أنه يحتاج إلى أكثر من كذا من الوقت حتى ينقه، وغير ذلك من الحديث الذي إذا تهامس به اثنان على مسمع عليل ثقيل الحال -وظنه صحيحاً -زاد نشاطه ونهض[20].

طرق علاج المرض النفسي لدى العرب المسلمين:

كانت طرق العلاج فيه كثيرة ومتنوعة اتبعها الأطباء العرب المسلمون من أجل ايجاد حلول نهائية وحاسمة في تعاملهم مع هذا المرض، ولعل أهمها:

1 - العلاج بالقران الكريم:

وكانت اللبنة الأولى التي وضعها المفهوم النفسي الإسلامي هي لبنة الإيمان ، والإيمان يرادف الاطمئنان النفسي في مصطلح الطب العقلي، وقد اتفق جميع المحللين النفسانيين على أن السبب العميق لكل الأمراض النفسية هو الاضطراب والصراع سواء كان جنسيا أم عقائديا أم اجتماعيا أم ذاتيا، فكلما حصل نزاع بين عادات الإنسان وميوله من جهة وبين مقتضيات البيئة الخارجية المتمثلة في المؤسسات وأنظمة التربية وأنماط السلوك من جهة أخرى تكونت العقد كمرحلة أولى نحو الجنون في نهاية المطاف، فما دامت الثقة غير متوفرة في قلب الإنسان ومادام الاطمئنان غير حال في عقله كان مهددا دوما بالمرض النفسي، والإسلام جاء ليقضي على الميكروب النفسي الأول وهو القلق والاضطراب والفصام بتركيز الإيمان في قلب الإنسان، ففي الإيمان اعتقاد أن لا نفرق بين حياة الأرض وحياة السماء، فلا فصام ولا نزاع بين متطلبات الحياة الأخرى ، بل هنالك ترابط دائم لا ينفصم ، وفي الإيمان ثقة هادئة في عدالة السماء وفي الولاء لله وحده فلا عبادة لمخلوق وبهذه الثقة وبهذا الولاء تصبح النفس في حرز وحمى من انحلال الشخصية وانفصامها، فالإسلام حصن ضد هذه الآفة التي تصيب الإنسان وهي آتية له من نفسه؛ لان المرض النفسي يصدر من النفس وقد يكون انعكاسا من المجتمع أيضا ولذلك وجب إصلاح المريض النفسي إصلاحا نفسيا اجتماعيا، وهذا ما فعله الإسلام حين جعل هذا الإيمان وهذه الثقة في الله لا تكمل ولا يكون لها مدلول إلا إذا كان لها سلوك اجتماعي؛ لأن الحياة الاجتماعية السليمة سد منيع ضد الاضطرابات، وهذا السلوك الاجتماعي يتمثل في الحب، الحب بأوسع معانيه الإنسانية : حب الفقير والعطف عليه وحب الإنسان من أي لون كان أو جنس أو بلاد ، بل حب الناس كافة ، حب الحيوان ، وحتى الجماد؛ لأنها من صنع الله ، وهذا الحب الشامل من شانه أن يقضي على عقد الاستعلاء والغرور وعقد النقص والأنانية وأسباب الأثرة ، وهذه العاطفة تدريب اجتماعي حاسم نحو العمل السليم .

والحب من شأنه أن يحقق السلام، سلام النفس والعقل حتى أن الإسلام هو دين السلام، وأن التحية الإسلامية هي تحية السلام والإخاء، قال الرسول – صلى الله عليه وسلم - (لا يومن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) [21]وقال تعالى: «إنما المؤمنون إخوة» [22].

بهذه الحواجز المنيعة حمى الإنسان في الإسلام من الأسباب الأولى للأمراض النفسية ، ولعل هذا هو الذي جعل العلماء العرب المسلمين أسبق المفكرين إلى ميدان التطبيب النفسي قبل مدرسة شاركوا في باريس و فرويد في النمسا، فلقد كان الطبيب العربي

فخر الدين الرازي يعتقد أن تلاوة القرآن والعمل به شفاء من الأمراض الروحية الخبيثة ، قال في كتابه «مفاتيح الغيب» : (واعلم أن القرآن شفاء من الأمراض الجسمانية ، أما كونه شفاء من الأمراض الروحانية فظاهر وذلك؛ لأن الأمراض الروحانية نوعان: الاعتقادات الباطلة والأخلاق المذمومة، أما الاعتقادات الباطلة فأشدها فسادا الاعتقادات الفاسدة في الإلهيات والنبوات والمعاد والقضاء والقدر، والقرآن مشتمل على دلائل المذهب الحق في هذه المطالب ، وإبطال المذاهب الباطلة فيها ، ولما كان أقوى الأمراض الروحانية هو الخطأ في هذه المطالب والقرآن يشتمل على الدلائل الكاشفة عما في هذه المذاهب من العيوب الباطنة لا جرم كان القرآن شفاء من هذا النوع من المرض الروحاني...) [23].

ويمكن القول إن الإسلام وضع الحجرة الأساسية لأساليب العلاج النفسي بعد أن تنكر لها في الجاهلية وسائل قائمة على التمائم والخرزات والإيمان بتأثير الجان والأرواح الخبيثة - لأن العلاج في الإسلام يقوم على الاستبصار وهو وقائي أكثر منه علاجي فلا تجد التفضيل العلاجي المعروف عند الأطباء الاختصاصين ، وإنما اكتفى بأن قدم العلاج الوقائي الإنساني الذي يصون العقل ويحمي النفس، وإننا لا نلمس عند الأطباء العرب ابتعادا كبيرا عن روح القرآن ، بل نجدهم يتخذون نفس المنطق ونفس المنهاج ، ولذلك كانوا قد سبقوا المفكرين إلى التحليق في عالم النفس وأدراهم بخفاياها وزواياها ، بل تعدى علمهم إلى علاج الانحراف السلوكي في الأخلاق وهذا ما لم يعهد به عند المحللين المعاصرين مع العلم أن المرض الأخلاقي انحراف نفسي في مراحله الدنيا.

2- العلاج عن طريق امتصاص عوامل الغضب:

وهى من ابرز الطرق العلاجية الأخرى التي اعتمد عليها المسلمون لعلاج المرضى في ميدان الأمراض العقلية، وامتاز العلماء العرب بعلاج فريد في نوعه استمدوه من صميم روح الإسلام وهو ما يتعلق بعلاجهم للأمراض الخلقية كالغضب والحسد ، يقول العلامة ابن مسكويه في بيان تأثير الغضب في الجسم والعقل: "الغضب في الحقيقة هو حركة للنفس يحدث لها غليان دم القلب شهوة لانتقام ، فإذا كانت هذه الحركة عنيفة أججت نار الغضب وأضرمتها فاحتد غليان دم القلب وامتلأت الشرايين، والدماغ يصبح مظلما مضربا يسوء منه حال العقل ويضعف فعله ويصير مثل الإنسان عند ذلك مثل كهف مليء حريقا.. لذلك يعمى الإنسان عن الرشد ويصم عن الموعظة وليس له في تلك الحال حيلة وإنما يتفاوت الناس في ذلك حسب المزاج".

وكتب الإمام الغزالي كتابات رائعة في هذا المجال حول أسباب الغضب ونتائجه وطرائق علاجه ومن آرائه حول العلاج ما ذكره في الأحياء قال: "وللتخلص من الغضب يجب إزالة هذه الأسباب بأضدادها، فينبغي بأضدادها، فينبغي أن تميت الزهو بالتواضع، وتميت العجب بمعرفتك بنفسك.. وتزيل الفخر بأنك من جنس غيرك، إذ الناس يجمعهم في الانتساب أب واحد.. وإنما الفخر بالفضائل.. وأما المزاح فتزيله بالتشاغل بالمهمات الدينية التي تستوعب العمر وتفضل عنه...وأما الهزل فتزيله بالجد في طلب الفضائل والأخلاق الحسنة، وإنما يعالج الغضب عند هيجانه بمعجون العلم والعمل) [24]أي: بالتفكير في أصل هذا الغضب وفي معرفة مصادره، وأما العمل فهو العلاج الفعلي بالقول أولا كأن يذكر الله ويقول:(أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) فإن لم يتحقق ذلك، فالجلوس إن كنت قائما، والاضطجاع إن كنت جالسا والاقتراب من الأرض التي منها خلقت؛ لتعرف بذلك ذل نفسك واطلب بالجلوس والاضطجاع السكون فإن سبب الغضب الحرارة، وسبب الحرارة الحركة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الغضب جمرة توقد في القلب، ألم تروا إلى انتفاخ أوداجه، وحمرة عينه فإذا وجد أحدكم من ذلك شيئا فإن كان قائما فليجلس وإن كان جالسا فليقم"[25]

ولا أعتقد أن علم النفس الحديث يستنكر متل هذا العلاج الحكيم.

3- العلاج بطريقة توفير الغذاء:

يعتبر الغذاء من أهم مقومات علاج الأمراض العقلية، فقد كان لزاما على القائمين على هذا القطاع توفير وجبات غذائية لائقة حتى يتمكن المرضى من التغلب على أمراضهم، يقول جورج مور: "إن الوجبات الغذائية لها وقع السحر في شفاء المرضى وندكر في هذا الشأن ان أمهر الأطباء النفسانيين العرب وهو - دون ريب - ابن سينا قد ذكر في كتابه قصة ذلك الفتى الذي اعتقد أنه قد صار بقرة وأصبح يطالب بذبحه حتى يؤكل من لحمه. وقد حار الأطباء في علاجه إلى أن علم به ابن سينا فصدق ما رواه الفتى المريض وجعل يشاركه اعتقاده بأنه صار بقرة وأنه حان ذبحه فلما أسلم المريض نفسه للذبح شرع الطبيب ابن سينا في اقناعه بأنه لا يجوز ذبح بقرة هزيلة فلا بد من أن تطعم حتى تسمن، وصدّق الفتى مقالة الطبيب الرئيس، ولكنه حينما بدأ في تناول الطعام زالت عنه تلك الأوهام، وشفي من مرضه تماما"[26].

ومِمَّا يُروى أيضاً عن أبي البركات هبة الله علي بن ملكا: "أنَّ مَريضاً ببغداد كان قد عرضت له عِلَّةُ المالينخوليا، وكان يعتقد أنَّ على رأسه دَنَّاً وأنَّه لا يفارقه أبداً؛ فكان كلَّما مشى يتحايد المواضعَ التي سقوفُها قصيرة، ويمشي برفق، ولا يترك أحداً يدنو

منه، حتَّى لا يميل الدَّنُّ أو يقع عن رأسه. وبقي في هذا المرض مدَّةً، وهو في شدَّةٍ منه. وعالجه جماعةٌ من الأطبَّاء ولم يحصل بمعالجتهم تأثيرٌ يَنتفِع به، وأُنهِي أمرُه إلى أبِي البركات الذي عالَجه من وهمه بأن أمرَ غلاماً أن يضربَ بعصا من فوق رأس المريض، وأمرَ غلاماً آخر أن يرمي بذات الدَّقيقة دَنَّاً وراءَ هذا المريض، فلمَّا عاينَ المريضُ ما فُعِل به، ورأى الدَّنَّ المنكسر، تأوَّه لكسرهم إيَّاه، ولم يشكَّ بأنَّه الذي كانَ على رأسه بزَعمِه، وأثَّر فيه الوَهمُ أَثَراً، وبَرِئ من عِلَّته تلك"[27].

4- العلاج بالاعتماد على الطبيعة:

كان العلاج يعتمد فيه على الطبيعة ومباهجها وحدائقها الغناء , حيت كانت تكبح جماح النفوس ، وتردها عن الضلال ، بفضل تتابع الفصول وظهور الثمار والانتقال من موسم الحصاد إلى موسم جمع الكروم أو قطف الزيتون، وتنعم البيئة الأندلسية بجمال ثراء وروعة آسرة، وتصطبغ بظلال وارفة وألوان ساحرة، تتنفس بجو عبق عطر يضاعف من روعته وبهائه ما يتخلل جنباتها من مواطن السحر ومظاهر الفتنة التي تبعث الانبهار والدهشة في النفوس، وقد تغنى الشعراء الأندلسيون بجمال الطبيعة الأندلسية، فابن سفر المريني يتعلق بالأندلس فيراها روضة الدنيا وما سواها صحراء، وابن خفاجة الذي لقب «بالجنّان» و«بصنوبري الأندلس» يشبهها بالجنة فهو يقول:

يـا أهـل أندلـس لله دركـم ماء وظل وأنهار وأشـجار

مـا جنة الخلد إلا في دياركم ولـو تخيرت هذي كنت أختار[28]

وكان ذلك تأثيره الكبير في شفاء عدد لا يستهان به من نزلاء المشافي، ولقد أثبت الأطباء العرب مدى نجاح هذا العلاج، فلقد استعاد المرضى آدميتهم واكتشفوا أنفسهم وسط دلك الهدوء .. وتيقن الأطباء أن الأفق المتسع ضروري لصحة العين؛ لأن العين خير ما ينضم المشاهد ، وما ينبعث إليها يضفي البهجة على كل شيء جراء هذا البهاء الذي يعم الطبيعة، لذلك يتم إخراجهم في مجموعات صغيرة؛ حتى يسهل قيادتهم والتنزه بهم في الحقول والبساتين القريبة، حيت ظلال الأشجار الوارفة الضلال الواقعة على جانبي ضفتي نهر الوادي الكبير، الذي كان منظره يجلب الراحة والهدوء والسكينة إلى النفس في معظم الأحيان، بل إن الأصحاء من الناس وكذلك الأمراء والخلفاء كانوا أيضا يمتعون أنفسهم بتلك المناظر الخلابة والجميلة، فاتخذ بعضهم من شرفات قصورهم موضعا يترصدون من خلاله كل ما من شأنه أن يعود عليهم ببعض من المتعة والبهجة ، لمشاهدتهم لمنظر المياه وهى تنساب رقراقة في مجرى نهر الوادي الكبير، كذلك الحال بالنسبة للتجار وأرباب المصالح إذ يخرجون من ضجيج الشوارع وازدحامها،

فيرون الطبيعة وجمالها عن كتب حيت مباهج النهار، وندى الصباح، وقوس السحاب، وجبال قرطبة وبساتينها المزهرة ، والضلال المنعكسة على سطح الماء، لذلك كله تيقن للأطباء العرب أن للطبيعة وقع السحر في شفاء المرضى؛ لأن بين أحضان الطبيعة يتملك المريض شعورا عارما رغم كل الأحزان، واكتشف الأطباء أن للهواء دور هام في الشفاء؛ لأنه من صنع الطبيعة[29] ولأنه أيضا ينعش الدهن والذاكرة، لذلك يكون الهواء العليل نعمة لا حد لها في الاستفادة منها من قبل المرضى. وقد وصف المؤرخ ايفيلجا village جو الاسترخاء والتمتع بمشاهدة النواقير الساحرة والحدائق الغناء التي كان لها أبلغ الأثر في شفاء المرضى، ومعلوم أن الطبيعة كما يفهمها الرومانسيون صديقة وفيّة يحبونها لما تمنحه لهم من جمال لحسّهم وهدوء لنفوسهم، فيستسلمون إليها ويشاطرونها المناجاة ويبوحون إليها بعواطفهم وآلامهم [30]. وكان لهدير المياه وقعها المميز على المرضى، فعناصر الطبيعة لا تنتهي، وقد اهتمت العناصر الطبية بضرورة مراعاة نفسية المسنين منهم من حين لآخر، وأوصت بضرورة إخراجهم ليستنشقوا عبير الورود والرياحين والبخور وخاصة أنواعا معينة تتناسب معهم كالنرجس والعود، وكذلك راعت أن يكونوا بعيدين عن أي منغصات تكدرهم وتؤثر على حالتهم النفسية بالسلب، وأوصي الأطباء بوجوب أن "يتوقوا الأحداث النفسانية؛ لأنها تحل قواهم وربما حدت لهم من أهل ذلك الإغراق بها والغشي والموت الفجأة "[31]

5- العلاج بالموسيقى:

وهى من ضمن طرق العلاج الفعالة التي تمت بها معالجة اولئك المرضى في المستشفيات في ذلك الوقت، فقد أصبح العلاج بالموسيقى طريقة مبتكرة وجديدة وتنم عما وصلت إليه طرق العلاج النفسي الراقي لدى العرب المسلمين من فن واتقان ، فقد تم إدخال الأجواق الموسيقية " لتعزف بهدوء وانسياب في أنحائها المختلفة، ودخل المطربون للغناء في قاعات المرضى الداخلية والخارجية خصوصا في الليالي القمرية منها ، حيت ينظر المرضى إلى القمر وهو لا يزال خيطا رفيعا حتى إذا اكتمل وصار بدرا سطع عليهم نوره وادركتهم البهجة، فتصفوا نفوسهم وتهدأ وتتملكها السكينة، وحين يفتقد القمر يتطلع المرضى مع أطبائهم إلى النجوم، حيت توقظ النجوم في أنفسهم نوعا من الإجلال، وتحدت انطباعا مماثلا ينجم عنه تفتحا للذهن ، فأشاع هذا العلاج جوا من الفرح والبهجة والمرح والسرور بين صفوف المرضى الأمر الذى أدى إلى تعافي البعض منهم بصورة عجيبة، وخفت الالام الحادة التي كان يعاني منها البعض الآخر، خصوصا تلك الحالات الصعبة التي أصبحت سهلة الانقياد، بعد أن كانت الرعونة هي

الصفة الغالبة عليها في أغلب الأوقات، واكتشف الأطباء القائمون على المرضى بأن العلاج بالموسيقى يعتبر بديلا ناجعا ومبتكرا عن العلاج بالمهدئات التي تسبب في الغالب سيطرة على شعور المرضى، وهو ما يؤدي في الغالب إلى توطن المرض وبقائه على حاله لديهم حتى وفاتهم. ومن العجيب ألا يذكر في هذا المقال معرفة العلماء العرب والمسلمين منذ القرن التاسع الميلادي بعلم العلاج بالموسيقا ومن الغريب ألا يذكر اسم الطبيب والفيلسوف الذي كان من أوائل من طبقوا العلاج بالموسيقا على المرضى وهو أبو إسحاق الكندي (796-873 م). وضع الكندي سبع رسائل في الموسيقا تضمنت التأثير الطبي للموسيقا والتأثير النفسي لها أيضاً ومنها: كتاب المدخل إلى الموسيقا ورسالته في الإخبار عن صناعة الموسيقا، وكتاب في ترتيب النغم على طبائع الأشخاص العالية وتشابه التأليف ورسالة في اللحون والنغم وكتاب المصوتات الوترية من ذات الوتر الواحد إلى ذات العشرة الأوتار وغيرها[32].

عند الحديث عن العلاج بالموسيقا لا يمكن أيضاً إهمال ابن سينا الذي كان يصف الغناء والموسيقا لا للمصابين بآفات عقلية أو نفسية وحسب وإنما كان يوصي بهما أيضاً في تسكين الأوجاع. كما وضع الموسيقا والغناء في قائمة الأدوية التي كان يعالج بها الحميات. ومقولته الشهيرة أصبحت مثالاً يحتذى في الغرب: «خير تمارين العافية الغناء»[33]

ولا ننسى أن نذكر ابن النفيس والرازي والفارابي والنقّاش (أحد أطباء البيمارستان النوري في دمشق) والأنطاكي (الطبيب والصيدلي السوري الذي ذكر استخدام الموسيقا في علاج الجنون والحميات والاختلاج والارتعاش) وإخوان الصفا في رسائلهم المشهورة التي قالوا في إحداها: إن من الموسيقا «لحناً كانوا يستعملونه في البيمارستان وقت الأسحار، يخفف آلم الأسقام والأمراض عن المريض، ويكسر سورتها، ويشفي كثيراً من الأمراض والأعلال» كما ذكروا أن «أمزجة الأبدان كثيرة الفنون ... ولكل مزاج ، ولكل طبيعة نغمة تشاكلها ، ولحن يلائمها ، كل ذلك بحسب تغييرات أمزجة الأخلاق واختلاف طباع وتركيب الأبدان في الأماكن والأزمان»[34] أيضا لا ننسى قول (ابن عبد ربه) في العقد الفريد حيت يقول: " زعم أهل الطب أن الصوت الحسن يسري في الجسم ويجري في العروق ، فيصفو الدم ويرتاح له القلب ، وتهش له النفس ، و تهتز الجوارح وتخف الحركات" [35]

ومن تجليات الدور البارز في المجال الصحِّيِّ منذ القرن الأول الهجري، العلاج في البيمارستانات، وأوَّل مَن اتَّخذها للمرضى الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك، حيث بنى بيمارستان بدمشق سنة 88 للهجرة وسبَّلَه للمرضى. وقد أبدى الوليد اهتماماً خاصّاً

بمرضى الجذام، ومَنَعَهُمْ من سؤال الناس، ووقف عليهم بلداً يَدِرُّ عليهم أرزاقاً، كما أمر لكل مُقْعَدٍ خادماً، ولكلِّ ضرير قائداً[36].

ويذكر ابن جبير في رحلته أنه وجد ببغداد حياً كاملاً من أحيائها، يشبه المدينة الصغيرة، كان يسمَّى سوق البيمارستان، ومباني كثيرة كلها أوقاف وُقِفَت على المرضى، وكان يؤمه الأطباء والصيادلة وطلبة الطب، إذ كانت النفقات جارية عليهم من الأموال الوقفية المنتشرة في بغداد[37]. وبلغ الاهتمام بالبيمارستانات الموقوفة مَبْلَغاً عظيماً من الرُّقِيِّ والاعتناء والتَّقَدُّم؛ حتى ذكر بعض المؤرخين أن شخصاً كان متمارِضاً في هذا المستشفى فكتب له الطبيب بعد ثلاثة أيام من دخوله: بأن الضيف لا يُقيم فوق ثلاثة أيام[38].

وكان من اهتمامهم ودقتهم في هذه المستشفيات التي أقاموها أنه لم يكن يؤذَن لأحدٍ بمباشرة عمله حتى يكون كبير الأطباء قد شهد له بالمعرفة الكاملة والضبط والدقة، ونتيجة لخطأٍ طبي حدث في زمن الدولة العباسية وتحديداً في زمن الخليفة المقتدر عام 319 توفي بسببه أحد المسلمين، فكان أن أمر الخليفة بمنع سائر المتطببين إلا من امتحنه كبير الأطباء سنان بن ثابت بن قره.

ومن لطيف الأوقاف الطبية: ما يعرف بوقف مؤنسي المرضى الذي خُصص ريعه لرعاية قومٍ عملهم الأساس إدخال السرور والفرح والانشراح والحبور على قلوب المرضى مما يكون سبباً بإذن الله لشفائهم، فهل عرف التأريخ مثل هذا؟ وتأكيداً على رقي هذه الأوقاف جاء في كتاب الدكتورة الألمانية زيغريد هونكة «شمس العرب تسطع على الغرب»، وصفاً للمستشفيات في عهد هارون الرشيد من خلال عرض رسالة من مريض إلى أبيه يقول فيها: «أبتي الحبيب، تسألني إن كنت بحاجة إلى نقود، فأخبرك بأنني عندما أخرج من المستشفى سيعطونني ثوباً جديداً وخمس قطع ذهبية حتى لا أضطر إلى العمل حال خروجي. واليوم قال لي رئيس الأطباء: إن بإمكاني الخروج من المستشفى معافى وأنا أكره ذلك»[39].

انظروا إلى هؤلاء المرضى وإلى أين وصلت بهم هذه المعاملة الطيبة وإلى أي مدى وصل ليه العرب من رقي وتحضر.

نتائج البحث:

1- إن الحضارة الإسلامية في البلاد العربية لم تهمل النواحي الصحية والنفسية للسكان والاهتمام بهم من أجل التمتع بالصحة الجيدة.

2- إننا عندما نهتم بالطب النفسي فإننا في ذلك نستنير بما قدمته الأمم الأخرى بل إننا في واقع الأمر نواصل مسيرة تلك الأمم نحو الاهتمام بهذا العلم.

3- إن الإسلام وضع الحجرة الأساسية لأساليب العلاج النفسي، بعد أن تنكر لها في العهد في الجاهلية من وسائل قائمة على التمائم والخرزات والإيمان.
4- إن العلاج في الإسلام يقوم على الاستبصار، وهو وقائي أكثر منه علاجي فلا تجد التفضيل العلاجي المعروف عند الأطباء الاختصاصين، وإنما اكتفى بأن قدم العلاج الوقائي الإنساني الذي يصون العقل ويحمي النفس.
5- لم يبتعد الأطباء العرب ابتعادا كبيرا عن روح القرآن، بل نجدهم يتخذون نفس المنطق ونفس المنهاج، ولذلك سبقوا المفكرين إلى التحليق في عالم النفس وعلموا بخفاياها وزواياها، بل تعدى علمهم إلى علاج الانحراف السلوكي في الأخلاق وهذا ما لم يعهد به عند المحللين المعاصرين مع العلم أن المرض الأخلاقي انحراف نفسي في مراحله الدنيا.
6- إن الأطباء العرب والمسلمين قد قطعوا شوطاً كبيراً في مجال الطب النفسي، في الوقت الذي لجأ فيه الأطباء اليونانيون إلى السحر والشعوذة لعلاج مثل هذه الأمراض، ولجأ أطباء أوروبا في العصور الوسطى إلى سجن أصحاب هذه العلل في سجون مظلمة، الأمر الذي يؤكد أن هذا الفرع العام من الطب يعد ابتكاراً عربياً إسلاميا خالصاً.
7- لقد تصدى الأطباء العرب لمعالجة الأمراض النفسية، وقدموا لها العلاجات، مما ساعد على شفائها. هذه الإنجازات كان لها أثرها على علم النفس الحديث، وتؤكد على الدور الريادي للعرب والمسلمين في هذا المجال واعتباره بمثابة أساس متين في قيام وتطور علم النفس الحديث.

التوصيات:

1- يوصى الباحث بزيادة الاهتمام بهذا الجانب من أجل التعريف به أكثر حتى يأخذ حقه في ميادين البحث المختلفة.
2- قد يكون هذا البحث بداية لرسالة ماجستير ودكتوراه للطلبة المهتمين بهذا الجانب.

الهوامش:

(1) محمد بن مكرم بن علي ابن منظور الأنصاري، لسان العرب دار صادر، بيروت، 1414، ج1،ص515.

(2) المصدر نفسه، ج1، ص518.

(3)سورة الدريات، الآية52

(4)سورة الأحقاف، الآية40

(5)المالكي (أبوبكر عبد الله بن محمد)، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وأوصافهم، تحقيق بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان1990، ص 435.

(6)ابن الزيات، الاستبصار في عجائب الأمصار، انظر أيضا: التشوف إلى رجال التصوف، ص 43 .

(7)روي بوتر، موجز تاريخ الجنون، ترجمة ناصر مصطفى أبو الفيحاء، مراجعة أحمد محمد خريس، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، 2012، ص 25. مفهوم الطب النفسي، عبد الرؤوف ثابت ص46

(8)روي بوتر، مرجع سابق، ص29

(9)واط (مونتغمري)، أثر الحضارة العربية الإسلامية على أوروبا، ترجمة جابر أبي جابر، مطبعة وزارة الثقافة، دمشق 1988، ص 178

(10)الكنائس في أوروبا في العصور الوسطى. بركات محمد المدفعي، دار العلم للملايين، بيروت2001، ص201

(11)أولمان مانفريد ، الطب الإسلامي ، ترجمة يوسف الكيلاني ، مطابع الهدف ، الكويت ، 1981 .ص142

(12)المرجع نفسه، نفس الصفحة.

(13)الطبيعة – حول مقالة إسحاق بن عمران في المالينخوليا ، د. سليم عمار ود. شمس الدين أحمد، مجلة تونس الطبية , 1980 , عدد 3, ص480 .

(14)الونشريسى، مصدر سابق، المعيار ج 6 , ص 429

(15)ابن عبدون ،ثلاث رسائل في الحسبة ، ليفي بروفنسال ،ص28 .

(16)الكنائس في أوروبا في العصور الوسطى. بركات محمد المدفعي، دار العلم للملايين، بيروت2001، ص201

(17)شافر ، لورنس (1955) : علم النفس المرضي ، في : ميادين علم النفس ، المجلد الأول ، أشرف على تأليفه جيلفورد ، وأشرف على ترجمته يوسف مراد ، دار المعارف ، القاهرة (1955)،ص28.

(18) نفس المرجع ،ص31

(19) فادية شربتجي ، تقيم فاعلية العلاج السلوكي المرضي لحالات الاكتئاب العصبي ، رسالة ماجستير 1407 ه ص59 .

(20) ابن سينا (الحسين أبو علي بن عبدالله بن علي) ، القانون في الطب ، طبعة روما ، بدون تاريخ ، ص 546.

(21) صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ،الدار الحديثة القاهرة ط الأولي ،266

(22) صحيح البخارى تحقيق محمد علي قطب ،المكتبة المصرية بيروت 1991 ص193
(23) فخر الدين الرازي ، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ص 212
(24) الغزالي محمد بن أبى محمد، مصدر سابق، ص222.
(25)صحيح مسلم ،تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ،الدار الحديثة القاهرة ط الاولي ،256
(26) ابن سينا، الشفاء ، تحقيق جورج متولي وسعيد زايد ومراجعة إبراهيم يونى مذكور ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1975، ص 159
(27)ابن أبى اصيبعه، (موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم الخزرجي) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، لبنان، بيروت، دار مكتبة الحياة، بدون تاريخ، ص517.
(28)عبد العزيز عتيق، الادب العربي في الاندلس، بيروت: دار النهضة العربية 1976 ص 146.
(29)أولمان مانفريد ، الطب الإسلامي ، ترجمة يوسف الكيلاني ، مطابع الهدف ، الكويت ، 1981 .ص122
(30)حمارنه (سامي خليفة)، تاريخ الطب والصيدلة، مطبعة دار التجليد الفني، القاهرة1967، ص 211.
(31)مؤلف مجهول، رسالة في تدبير المشايخ، مخطوط مصور، عن موقع زيدان للمخطوطات، ورقة 290.
(32)حمارنه (سامي خليفة)، تاريخ الطب والصيدلة، مرجع سابق، ص 211.
(33)ابن سينا (الحسين أبو علي بن عبدالله بن علي) ، القانون في الطب ، طبعة روما ، بدون تاريخ ، ص 546.
(34)إخوان الصفا رسائل إخوان الصفا تحقيق بطرس البستاني، بيروت دار صادر، بدون تاريخ، ج1، ص 296.
(35)أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه 246-ه328-ه، العقد الفريد، ج3 , 324
(36)إخوان الصفا، مصدر سابق، ص296
(37)ابن جبير، ابن حبيب أبو الحسن محمد بن أحمد (ت614ه-/1217م)، رحلة ابن جبير، تحقيق، حسن نصار، القاهرة بدون تاريخ، ص311.
(38)إخوان الصفا، مصدر سابق، ص296.
(39) زيغريد هونكه ، شمس العرب تسطع على الغرب، الدار الأهلية للنشر والتوزيع،بيروت لبنان ،ص187.